انتشار اللغة العربية في الساحل الشرقي الإفريقي
(من القرن الثاني إلى القرن التاسع للهجرة/ الثامن إلى السادس عشر للميلاد)

حسن صالح الغلام العمودي*

الملخص

لقد أولت مصادرنا العربية فيما كتبته عن انتشار الإسلام في بلاد السودان عامة، والساحل الشرقي الإفريقي خاصة اهتماماً واضحاً بكيفية انتشاره، فضلا عن إسلام ملوك بلدان هذه المنطقة، وكانت معلوماتها في هذا المجال غزيرة، في الوقت الذي جاءت معلوماتها عن انتشار اللغة العربية مقتضبة، بل عبارة عن إشارات عامة سنحاول استغلالها لمعرفة مدى وطرق تسرّب التعريب إلى هذه الأصقاع.

على ذلك فالبحث سيتناول العديد من القضايا المتعلقة بانتشار اللغة العربية من حيث أهميتها وتفوقها على اللغات المحليّة، فضلا عن السبل والوسائل التي أسهمت في انتشارها في ذلك الفضاء الجغرافي لتصبح اللغة الرسمية للممالك الإسلاميّة هناك ولغة الدواوين بعد اعتناق السكان للدين الإسلامي. كل ذلك سبقه وجود بعض المراكز الحضرية التي كانت مجالاً للتعريب والأسلمة ، انتشرت على امتداد شريط الساحل الشرقي الإفريقي ، وهي مراكز وضعت بذرتها الأولى بجهود فردية ، نهضت بها جماعات عربية إسلامية ، كانت قد اتخذت من النشاط التجاري أساً لها ، ثمّ تم تغذيتها بتواصل المد الإسلامي القادم من شبه الجزيرة العربية والخليج العربي.

ماذا نقصد بالساحل الشرقي الإفريقي ؟

أطلق الجغرافيون المسلمون مصطلح " أرض الزنج " أو " بلاد الزنج " على الفضاء الجغرافي الممتد من مقديشو إلى سفالة[1]، وقسموه من واقع بيئاته إلى أربعة أقسام هي :

أ- بربره أو بربرا وهي ليست بلاد البربر التي يُنسب إليها "بربر" بلاد المغرب[2].

ب- أرض الزنج وتمتد من ويبني شبيلي إلى حدود تانغا، أو الطرف الجنوبي لجزيرة بمبا[3].

ت- سوفالا أرض الذهب[4].

ث- أرض واق الواق، المجهولة الغامضة.[5]

وهكذا فأنّ بلاد الزنج تبدأ من مقديشو شمالاً، إلى سفالة جنوباً، عند قرية البايس، وهي المنطقة المحصورة بين نهري جوبا والزامبيزي[6]. فالرحالة والمؤرخون المسلمون يقصدون ببلاد الزنج كل المنطقة التي تسمى الآن إفريقيا الشرقية، وتضم اليوم كلا من : الصومال، كينيا، تنزانيا وموزنبيق[7].

أهم المراكز الحضريّة التي كانت مجالا للتعريب والأسلمة:

لعبت الهجرات العربية الإسلاميّة إلى شرق إفريقيا دوراً بارزا في تشكيل تاريخ منطقة الساحل الشرقي الإفريقي اقتصاديا وسياسيا ودينياً ، فضلا عن العوامل التاريخية التي سبقت ظهور الإسلام ، فقد أسس المهاجرون مستوطنات بدأت صغيرة ثم نمت وتحولت إلى مدن ومراكز لتصبح دويلات إسلامية ، ساهمت ايجابياً في نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى الساحل والداخل فيما بعد .

ساعدت عوامل عديدة في اتصال العرب بسكان القارة الإفريقية عامة ، والساحل الشرقي الإفريقي خاصة ، منذ أقدم العصور ، كما ساعد عامل القرب الجغرافي من ذلك الاتصال . فشبة الجزيرة العربية تواجه هذا الساحل ، فكانوا على اتصال دائم بالساحل خاصة عرب جنوب الجزيرة ، وعلى ذلك انتظمت رحلاتهم التجارية – وفقاً لنظام الرياح الموسمية – منذ عصر ممالك بلاد العرب الجنوبية (حضرموت ، معين ،

* استاذ مساعد بقسم التاريخ – كلية الآداب– جامعة حضرموت.

أوسان ، قتبان ....) .

ومع بزوغ فجر الإسلام ازدادت سيطرت العرب والمسلمين وأصبحوا سادة التجارة العالمية ، علما بأن الإسلام أعطاها سنداً اخلاقيا وروحياً ، خاصة بعد أن أصبح الإسلام دينا ودولة ، فتقاطرت الهجرات الإسلاميّة باحثة عن الرزق ، والاستقرار تدفعها عوامل كثيرة سياسة واقتصادية[8] . وتلك الهجرات أدّت إلى استقرار العرب المسلمين على شكل تجمعات سكانية بسيطة ما لبثت أن تطورت بمرور الزمن لتصبح مدناً كانت في البداية مراكز تجارية لخدمة التبادل التجاري بين الداخل ومدن الساحل ، لتصبح بعد ذلك نواة لممالك إسلامية .

واللافت للنظر لم تكن في ساحل شرق إفريقيا عقبات سياسية وعسكرية تقف بوجه المهاجرين العرب المسلمين . بمعنى إنه لم تكن هناك نظام سياسي قائم عرق تلك الهجرات ، ومع تزايد اعدادهم ودخول غالبية سكان الساحل في الإسلام مكن من أن يصبح الإسلام بمرور الزمن البديل لعادات وتقاليد السكان ومعتقداتهم الوثنية ، ليصبح الإسلام الرابطة المتينة بين السكان الأصليين وبين المهاجرين العرب المسلمين ، الذين عرفوا في بلادهم أنظمة الحكم السياسي ونقلوها معهم إلى الساحل الشرقي الإفريقي ، فكان طبيعيا أن تنشأ مراكز حضرية للتعريب ولأسلمه حياة الناس في مختلف جوانبها . ومن أهم تلك المراكز الإسلاميّة:

مقديشو:

مدينة في أول بلاد الزنج جنوب اليمن على ساحل البحر[9] ، تقع على خطي الطول (72°) والعرض (2 °) ومقديشو مفردة مكونة من مقطعين " مقد و " شو " ومقد يبدو إنها اختزال للكلمة " مقعد" العربية و "شو " تعني الملك . وهناك رأي آخر يقول أن مقديشو تعني " مقعد الشيخ " أو مقعد الشيوخ[10].

وأكد ابن بطّوطة ذلك عندما تحدّث عن مقديشو ، ومما قاله : " أن سلطان مقديشو يقال له في الصومال " شيخ "[11]. ولمقديشو أهمية خاصة من بين مدن بلاد العجم وحظيت بإعجاب الرحالة وتقديرهم ، وقد وصف الرحالة دورات باربوسا في مطلع القرن السادس عشر ، أهمية محاصيلها فضلا عن علاقاتها التجارية مع بلاد الهند ومدينة عدن[12].

ظهرت مدينة مقديشو في الوجود كمدينة وعاصمة إسلامية فيما بعد نتيجة لهجرة العديد من القبائل العربية ، لأسباب مختلفة من أبرزها هجرة الأخوة من الإحساء في نهاية القرن 3هـ /9م وهم من بني الحارث جاءوا على ظهر ثلاث سفن ومعهم أولادهم ونسائهم واتباعهم استقروا في منطقة على ساحل بنادر وبنوا فيها أول دولة إسلامية وهي مدينة مقديشو عام 295هـ /907م . وبنوا مدناً أخرى مثل مدينة " براوة " حوالي عام 365هـ / 975م[13] ومدينة مركه وقرفاوة ، وغيرهن من المدن . وقد حكم بنو الحارث هذه المدن وتمكنوا من تأسيس سلطنة إسلامية كانت عاصمتها مقديشو[14] .

والحقيقة أن بني الحارث الذين جاءوا من الأحساء قد سبقتهم إليها هجرات عربية إسلامية منذ القرن الأول للهجرة / السابع الميلادي . فمن تلك الهجرات التي كانت سابقة هي هجرة أبناء الجلندي (سليمان وسعيد) حوالي مابين (75- 95 هـ /694- 704م)، ولم يعرف بالضبط مكان نزولهم ، ومن المحتمل انه كان في باتا في أرخبيل لامو[15] . وتلتها هجرة الزيدية بعد مقتل الإمام زيد بن علي حوالي عام 122هـ /740م فتفرق اتباعه فجاءت مجموعة منهم ونزلت ساحل بنادر بالقرب من مقديشو في (شغوايا) فاختلطوا بقبائل اليانتو[16].

ومع توالي الهجرات الأولى وبذر بذور الإسلام وسط الساحل الشرقي ، إلا أن العامل الأكثر حضوراً في أسلمة تلك المناطق حتى أوائل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي كانت هي التجارة ، حيث نشطت الحركة التجارية مما ساعد على نشر الإسلام ومصاهرة السكان ، فضلا عن الأشهر التي يقضيها هؤلاء التجار (ما بين 3-4 أشهر) ، وهي مدّة الرياح الموسمية مما دفع بالكثير من التجار الاستقرار ونشر الدعوة الإسلاميّة، مما يعني الاهتمام ببناء المساجد والمباني[17] كل ذلك انعكس على حركة الأسلمة حيث نمت واتسعت رقعة الإسلام وترسّخت نتيجة لتزايد الاستقرار، وظهور المدن والممالك الإسلاميّة، وبذلك تحول الإسلام من إسلام قرية إلى إسلام مدينة ، ومن إسلام مجتمع إلى إسلام دولة.

كلوة :

جزيرة بأرض الزنج ، ورد ذكرها عند ياقوت في معجمه[18] ، التي كونت فيما بعد دولة الزنج ، وقد ضمّت مدناً عديدة في الساحل الشرقي والجزر المواجهة له مثل : منبسة ، وملندة ، مافيه ، تكبا ، وسفالة وغيرها من المدن .

والحقيقة أن العرب والمسلمون قد عرفوا تلك المنطقة قبل قيام تلك الدول ، منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي . ولكن ازدهرت كمركز إسلامي بعد قدوم الشيرازيين بقيادة علي بن حسن وأولاده[19] ، وأسسوا أكبر سلطنة إسلامية في الساحل الشرقي الإفريقي التي عرفت باسم (إمبراطورية الزنج الإسلاميّة أو (سلطنة كلوة الإسلاميّة) نسبة لعاصمتها " كلوة " . وقد جعلوا منها قاعدة ومركزاً كبيرا لنشر الإسلام والثقافة الإسلاميّة بين القبائل الإفريقية في الساحل وداخله.

ومنذ تأسيس سلطنة كلوة حدثت نهضة كبيرة شملت ميادين الحياة ، وزادة ازدهارا منذ القرن (6هـ / 12م) وأصبحت أهم مركز تجاري على السواحل الإفريقية[20] فضلا عن دورها في نشر الإسلام واللغة العربية حيث يؤكد ابن بطوطة عن بعض سلاطينها بقوله " ... وكان كثير الغزو إلى أرض الزنج[21] " فضلا عن ما قاله عن سلاطين الساحل الإسلامي لكلوة و ممباسا وغيرهما من المراكز الإسلاميّة التي شجعت العلم والعلوم العربية ، وقربهم للفقهاء ، ونشر الإسلام بين القبائل الوثنية ، والاهتمام ببناء المساجد[22].

فعند العودة إلى تاريخ كلوة نلاحظ أنّ عدداً من ملوكها قد تبنوا سياسة التوسع على حساب جيرانهم ، فأمتد نفوذها إلى سفالة الواقعة جنوبا [23] ونتج عن ذلك توسع حدود الدولة وزيادة في المد الإسلامي .

مالندى :

وتعرف أيضا بـ (ملندة)هي احدى الجزر الهامة التي يتألف منها أرخبيل لامو ، وهي : لامو ومالندى وبات ، وتفصل كلا منها عن الأراضي الساحلية قنوات ضيقة . ومالندى تقع على ضفة البحر على خور ماء عذب ، وتبعد عن منبسه مسافة يومين[24]، وإذا ما غادر الشخص منبسة باتجاه الشمال وسار بمحاذاة الساحل باتجاه الهند يجد مالندى " [25] ،وهي من مدن الزنج المشهورة وقد استمدت شهرتها من التجارة مع شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي .كما أن مالندى زادت ازدهارا في القرن (9هـ / 15م) بأثر ضعف سلطنة كلوة ، حيث فتح المجال لمالندى بالسيطرة على خط سير الملاحة في الساحل المتجهة إلى البحر الأحمر من ناحية والمتجهة إلى الخليج العربي والمحيط الهندي من ناحية أخرى[26].

منبسة :

إلى الجنوب من ملندة نجد منبسة ، وهي جزيرة كبيرة بأرض الزنج[27] ، وتبعد عن أرض الساحل بمسافة مسيرة يومين في البحر[28] ، وحسب وصف الإدريسي

بأنها تقع على ضفة خور كبير تدخله المراكب[29] . وهي من أهم المراكز التجارية التي خضعت لسلطة كلوة الإسلاميّة، وكانوا يعينون عليها نائبا نظراً لأهميتها سياسياً واقتصادياً . وكان أهلها يحترفون استخراج الحديد وتصديره إلى الخارج ، ويستوردون السلع المصنوعة من الحديد ، ويقوم تجارها ببيعها للأفارقة في الداخل نظير العسل والشمع والعاج[30].

ومن وصف ابن بطوطة لأهل ممبنسة قال : " ... أنهم أهل دين وعفاف وصلاح ، وهم شافعية المذهب "[31] . فانتشار المذهب الشافعي ووصوله إلى ممبنسة يؤكد التواصل الحضاري بين البلدان الإسلاميّة والساحل الإفريقي .

لامو و باتا:

من بين الجزر التي يتكون منها (أرخبيل لامو) ، يفصلها عن الساحل شريط مائي ضيق ، وتبتعد ، حوالي (150 كلم) شمال منبسة[32] ، أمّا تاريخ تأسيس هاتين المملكتين فيعود لفترة حكم عبد الملك بن مروان (65 – 85 هـ / 684 – 705م) فقد أشارت مخطوطة (خبر لامو) أن سكان لامو الأوائل من العرب هم الذين أرسلهم الخليفة عبد الملك بن مروان[33].

وفي العهد الخلافة العباسية وصلت هجرات إلى تلك الجزر بهدف ممارسة النشاط التجاري ونشر الإسلام هناك كهجرة آل الجلندي من عمان ونزلوا في لامو وبنوا عدد من المدن[34] .

أمّا باتا فقد وصل إليها بنو نبهان بزعامة سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني بعد سقوط دولتهم في عمان . وفيها تمكنوا من قيام دولة لهم في حوالي عام (601هـ / 1203م) ، واستطاع سلاطينهم من بسط نفوذهم على معظم مدن الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي الإفريقي ، متبعين النهج الإسلامي ، وقاموا بنشر الإسلام والثقافة الإسلاميّة بين القبائل الوثنية على الساحل والداخل بدءا من نشر التعليم الديني في المساجد والكتاتيب والمدارس ، حيث توافد الطلاب من كل صوب وحدب ليتحفظوا القرآن الكريم ، ويتعلمون اللغة العربية[35] . ولم تقتصر مراكز التحضر والأسلمة على ماذكرنا وحسب بل نجدها امتدت من مقديشو شمالا حتى جزر القمر جنوبا ، كما كان لها حضورا في الجزر المقابلة للساحل مثل جزيرة بمبا وزنجبار ومامبا وغيرها .

انتشار اللغة العربية في الساحل الشرقي الإفريقي:

تعتبر إفريقيا من أكثر مناطق العالم تعقيداً من الناحية اللغوية[36]، ويقدر عدد اللغات المنتشرة فيها بحوالي ثمانمائة لهجة تم تقسيمها أو تصنيفها من قبل المختصين إلى اثنتي عشرة أسرة لغوية[37]. هذا العدد الهائل من اللغات يحول بلا شك دون قيام أي نوع من الوحدة أو التفاهم بين الشعوب وقبائل القارة الإفريقية لأن للغة دوراً استراتيجياً في مضي المجتمع نحو التطور والازدهار وذلك بمقتضى وظيفتها التواصلية بين الناس والتخاطب والتعبير عن الفكر.

أمّا اللغة العربيّة فيبدو أنّها أخذتها مكانها منذُ وقت مبكر، أي بحدود القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي حيث بدأت هذه اللغة تنتشر على طول الساحل الشرقي الإفريقي، ويرجع المختصون سهولة الانتشار إلى ما تتمتع به اللغة العربيّة من خاصية الوضوح والمنطقية والإيجاز، فضلا عن تمتعها بخاصية المرونة والسهولة في الهيمنة على لغات عديدة، ناهيك عن تميزها بخاصية الاختصار، حيث يمكنها أن تعبر بالقليل عن الكثير، وقد أبقاها على روعتها وخلودها ارتباطها بالإسلام. كما تمتاز بخاصية التعالي عن الانتماء العرقي والإثني والطائفي والفئوي والجهوي، ممّا جعلها لغة التوحيد والوحدة[38]. لذلك قال عنها السير توماس أرنولد " لقد بلغت اللغة العربية حداً يفوق كل وصف، من الغنى والجمال،

وأصبحت لغة التخاطب، وهي لغة شريعة وقانون مكتوب"[39].

كانت اللغة العربية هي الوسيلة الناجعة لعملية التأثير الحضاري في شرق إفريقيا، حيث تأثر السكان بالعرب المسلمين وقبلوا الإسلام ودخلوا فيه، وتعلموا لغته العربية التي انسابت إلى قلوبهم، وسرت على ألسنتهم، وما لبثت بعد ذلك أن خالطت لغاتهم المحلية، خاصة وأنّها أتاحت لهم آفاق واسعة في التجارة والتبادل كما أنها حفزتهم على كتابة لغاتهم بأحرف عربية[40] فأثرت على أكثر من ثلاثين لغة إفريقية كتبت بالحرف العربي. وبذلك أصبحت حياة وحضارة مدن الساحل عموماً عربية[41].

وبما أن اللغة العربية هي لغة التخاطب في عقد الصفقات التجارية، فضلا عن كونها اللغة الرسمية ولغة الدواوين، فقد أصبحت شائعة الاستعمال بين سكان الساحل الشرقي الإفريقي، وكثر المستعملون لها بل كثر المتميزون منهم بالفصاحة والبلاغة، مثلما ذكر السيرافي في وصفه لخطيب زاهد يرتدي جلد نمر ... ويأخذ بيده عصا ثم يقبل إليهم ويجتمع بهم يحدثهم ساعات طويلة[42]. كما أكد الجاحظ تفوق الخطباء الزنوج في الفصاحة والبلاغة على سائر الأمم[43].

ويبدو أن اللغة العربية قد بلغت أعلى مستوى لها في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادية حسب شهادة الرحّالة المغربي ابن بطوطة الذي وصف مقديشو بقوله " .... وسلطان مقديشو إنما يقولون له الشيخ، واسمه أبو بكر بن الشيخ عمر، وهو في الأصل من البرابرة، وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي .."[44]. وفي حديثه عن المدن الأخرى يشير إلى أنّ غالبية طبقة العلماء في زنجبار شافعيون وأنّ الناس في كلوا وممباسا كانوا كذلك شافعيين ويغلب عليهم التدين والصلاح[45].

وفي الحقيقة فإنّ ذلك يعكس توسّع استعمال اللغة العربية التي أصبحت اللغة الرسمية للحكومات والسلطنات التي تأسست في الساحل الشرقي الإفريقي، فهي قد أضحت لغة الدواوين والمخاطبات الرسمية ولغة الفقهاء، أمّا اللغة السواحليّة فتأخرت إلى المرتبة الثانية ومما يؤكد ذلك أّن البرتغاليين أرجعوا فشل حملاتهم الاستعمارية في شرق إفريقيا خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين/ الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين إلى جهل القائمين على أمر تلك الحملات باللغة العربية[46].

وتذهب الباحثة "نيكولس" إلى القول بأنّ سكّان الساحل الشرقي الإفريقي تمتعوا بحضارة إسلامية راقية في شتى ميادين الحياة خلال نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ووصلوا إلى مستوى عال من المدنية المادية، ونمت مؤسساتهم السياسية والإدارية نتيجة لاعتناقهم الدين الإسلامي ومعرفتهم باللغة العربية.[47]

كما أكّد المستعمرون أنفسهم عظمة الحضارة الإسلاميّة في الساحل الشرقي الإفريقي، فقد نوّه فاسكو دجاما بما لمسه في دوائر بلاط الأمراء، ومظاهر الرفاهية، وارتفاع مستوى الثقافة والأخلاق وازدهار حياة السكان وارتفاع مستواها،[48] بل أنّ بعض مظاهر الحياة في هذه الإمارات الإسلاميّة كانت تفوق نظيرتها في حضارة البرتغال ذاتها في بداية القرن السادس عشر الميلادي[49] .

لقد استطاع العرب بعد استعمالهم لإحدى لهجات البانيو[50] ومدّها بالمفردات العربية التمكن من إيجاد لغة هجينة هي اللغة السواحليّة، حيث نشأت من تلاقح مؤثرات إفريقية وعربية في جو إسلامي، فهي هجين عربي – إفريقي، فهي لغة إفريقية تركيباً، ولكنها اقتبست كثيراً من مفرداتها من اللغة العربية وكتبت أصلاً بالحرف العربي، وأصبحت من أهم

المقومات الحضارية للساحل الشرقي الإفريقي والظاهرة البارزة فيه. ويبدو أن السواحليّة بأشكالها ولهجاتها المعروفة الآن بدأت في الظهور منذ القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، وأخذت بعد ذلك نحو قرنين لتصبح وسيلة التفاهم الرئيسة[51].

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة السواحليّة من أقدم اللغات ألإفريقية التي استخدمت الحروف العربية في كتابتها، ولا يزال بعض سكان الساحل الشرقي الإفريقي يتمسكون باستخدام تلك الحروف العربية في كتاباتهم، في حين يكتب الصوماليون لهجاتهم بالحروف العربية، ولكنهم يكتبون خطهم العربي من أعلى إلى أسفل[52] ، وهكذا كتبت السواحليّة أصلا بالحرف العربي[53] .

إن التأثيرات العربية قوية واضحة في اللغة السواحليّة وفي أدبها، وقد قدّر علماء اللغة العربية أنّ نسبة المفردات العربية فيها من الربع إلى النصف، وكانت تكتب كما ذكرنا بحروف عربية إلا أن المستعمرين والمبشرين نجحوا إلى تحويل حروفها إلى الحروف اللاتينية للقضاء على مؤثرات الحضارة العربية الإسلاميّة[54] ، ونجحوا في جعل اللغة العربية تنحدر إلى المرتبة الثانية بعد أن كانت تحتل المرتبة الأولى في الساحل الشرقي الإفريقي.

وعلى العموم فإنّ التواجد الوثيق للثقافة والإدارة العربيتين على امتداد الساحل الشرقي الإفريقي بل حتى في بعض المناطق الداخلية للقارة الإفريقية أدى إلى تبني حصة كبيرة من مفردات اللغة العربية وخاصيتها، ويتجلى ذلك خاصة في المجال الديني.

استأثر الدين بالجزء الأعظم من المفردات العربية التي نفذت إلى اللغة السواحليّة، ومن أهم الألفاظ التي لها وظيفتها في أداء الفرائض الدينية واتباع سلوك معين في الحياة، نذكر مفردات مثل : ديني (دين) صالا (صلاة) إماني (إيمان) عبودو (عبادة) زاكا (زكاة) توبو (تاب) توبا (توبه) . فضلا عن التوقيت السواحلي الذي يخضع في مجمله إلى تقسيم أوقات الصلاة عند المسلمين. فمثلا هناك كلمة الفاجري بمعنى الفجر وكذلك الظهوري والعاصري، القاضي Qadi ، رئيس Raisi، وزير Waziri، شريفة Shria[55].

وفي مجال الأسرة والحياة المنزليّة تظهر المفردات العربية كثيرة التداول، فهناك ألفاظ عديدة من أصل عربي مثل : ساقافو (سقف)، وغرفا (منزل)، وفي المطبخ ، وكذلك في وصف علاقات الشخص بالأسرة مثل : عامي (ابن العم أو العمة أو الخال أو الخالة) بنتي (بنت) رفيقي (صديق)، وفي التجهيز المنزلي هناك مفردات من أصل عربي مثل : صاحاني (صحن) سينيا (صينيّة)، كما تزخر المعاملات الاجتماعية بمفردات من أصل عربي في ميادين الثقافة والعوائد والتقاليد والاقتصاد مثل : آدابو (لباقة)، توظى (وضوء) وبركا (بركة)، راتيبو (رتب)، باظري (بدر)،[56].

ومما ساعد على انتشار اللغة العربية منذ مدّة طويلة من الزمن عمق العلاقات التاريخية القديمة، وحسن الجوار مع الوطن العربي عامة وشبه جزيرة العرب خاصة، ولهذا اهتم سكان الساحل بالإقبال على الدين الإسلامي، وعلى ما يبدو من دراسة النصوص التي أوردها الرحالة ابن بطوطة أن حكام مقديشو وكلوا وممباسا وغيرها من المناطق التي زارها شجّعوا العلوم العربية وخاصة الشرعية منها، وقربوا الفقهاء والعلماء، وجعلوا لهم ولطلاب العلم دُورا للضيافة بالقرب من "دار الشيخ السلطان"، [57] فضلا عن جهودهم في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية، على غرار اهتمام سلاطين كلوا وأهلها بالجهاد ونشر الإسلام واللغة العربية في بلاد الكفار (الليميين) الساكنين على مقربة من كُلْوا[58] بل إنّ بعض السلاطين استشهد في قتاله "للكفرة"[59].

وهكذا فإنّ عمق العلاقات التاريخيّة القديمة وحُسن الجوار بين سكان الساحل الشرقي الإفريقي من جهة وبلاد العرب من جهة أخرى، كانت أسباباً مهمة لنشر اللغة العربيّة في بلاد الساحل الإفريقي ولا شكّ في أنّ عمق الصلات التجارية مع العرب، كانت بدورها من بين أهمّ العوامل المساعدة على نقل اللغة العربية إلى الساحل ونشرها فيه.

التجارة والتجّار ودورهما في نشر اللغة العربية :

يعود الوجود التجاري للعرب في الساحل الشرقي الإفريقي إلى قرون عديدة سابقة لظهور الإسلام، فقد وجد تجار العرب ضالتهم الاقتصادية هناك حيث الذهب والعاج والحيوانات والرقيق.... ويؤكد صاحب كتاب "الطواف حول البحر الاريتري " أن هذا الساحل كان خاضعاً منذ القرن الأول قبل الميلاد وربما قبل هذا التاريخ بقرون عديدة لسلطة زعماء المعافر حكام دولة سبأ وذي ريدان الذين كانت لهم السيادة على الساحل وفق (حق أزلي قديم)، فضلا عن معرفة العرب لكل مناطق الساحل وفهمهم للغته واختلاطهم بسكانه بالتزاوج. وكانت سفنهم تأتي محملة بالمواد التي يرغب فيها سكان الساحل الشرقي الإفريقي، ومنها الرماح المصنوعة في مخا والفوؤس والخناجر والزجاج. [60] وبالمقابل فقد حصل العرب على الذهب والعاج والجلود وصدفات السلاحف والرقيق.[61] وقد فرض "زعيم المعاف"ر سيطرته على مدينة (رهابتا Rhapta) التجارية المشهورة.[62] كما عرف هذا الساحل بالساحل الأوساني.[63] وهكذا فرض التجّار العرب سيطرتهم على الساحل الشرقي الإفريقي، فضلا عن قيامهم بدور الوساطة في التجارة العالمية.

وفي ظل دولة الإسلام وانتشار الإسلام واستقراره في الساحل الشرقي الإفريقي منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، أصبحت العديد من المراكز الساحلية أسواقاً مزدهرة وعامرة للتجارة والتجّار العرب، فهذا ابن بطوطة فيحدثنا عن عادة أهل مقديشو في استقبال المراكب القادمة من الساحل العربي فيقول: "ومن عادة أهل هذه المدينة متى وصل المركب إلى المرسى تصعد الصنابيق وهي القوارب الصغيرة إليه، ويكون في كل صنبوق جماعة من شبان أهلها، فيأتي كل واحد منهم بطبق مغطى فيه طعام فيقدمه لتاجر من التجّار المركب، ويقول : "هذا نزيلي " ... ولا ينزل التاجر من المركب إلاّ إلى دار نزيله من هؤلاء الشبّان، إلا من كان كثير التردد إلى البلد وحصلت له معرفة أهله فإنه ينزل حيث يشاء ... ولما صعد الشبّان إلى المركب الذي كنت فيه جاء إليّ بعضهم فقال له أصحابي: " ليس هذا بتاجر وإنما هو فقيه "، فصاح بأصحابه فقال :" لهم هذا نزيل القاضي !"[64] وهذه النصوص تؤكد من غير شك على أهميّة حجم التبادل التجّاري بين العرب والساحل الشرقي الإفريقي، وعلى التعاون والتكامل الشديد بينهم، فشهادة ابن بطوطة التي تصف الشبان وما يقومون به من معاملة جيّدة للتجار واستضافتهم في بيوتهم، تؤكد على معرفة هؤلاء الشبان باللغة العربية.

أمّا سلاطين المدن الساحلية، فيبدو أنّهم ولأغراض تجارية، قد قاموا بعقد اتفاقيات تجارية مع سكان الداخل، ومن ذلك الاتفاقية التي وقعت بين صاحب مقديشو وصاحب سفالة، والتي نصت بنودها على أن يذهب سنوياً مجموعة من الشباب العربي المسلم من مقديشو للاستقرار في سفالة من أجل الاختلاط بالسكان والتزاوج معهم ونشر الإسلام واللغة العربية[65].

كان عرب الساحل يحملون الأقمشة القطنية الملونة والحريرية، ويقومون ببيعها لسكان سفالة، ثم يعمل أهل سفالة على بيعها بعد ذلك إلى الوثنيين من سكان مملكة بيناميناب الذين كانوا يأتون إلى سفالة محملين بالذهب مقابل حصولهم على الأقمشة والخرز، وتتم

هذه العملية بدون وزن. ومن الواضح إنّ كلا الطرفين (العرب المسلمون والكفار الوثنيون)، قد تأثر بلغة الطرف الآخر، لأن التبادل التجّاري وإتمام الصفقات التجارية كان يتطلّب لغة مشتركة، ولهذا كان قسم من "الكفرة" يتحدث اللغة العربية[66].

وتتحدّث مصادرنا أيضا عن الطرق البرية الأخرى التي كان يسلكها التجّار المسلمون، كالطريق التي ربطت كُلْوا بشعب زيوا (Ziwa) الذي يقع على الحدود الشرقية لروديسيا الجنوبية حالياً. وهناك طريق بري آخر يربط كُلْوا ببحيرة نياسا (Nyasa) في الداخل[67].

ويتحدّث ديورتاباربوس الذي زار الساحل الشرقي (1517– 1518م) عن عمليات التبادل التجّاري التي كانت تتم بين (المغاربة) "العرب المسلمين" وسكان الداخل الوثنيين وعن شعور بالقناعة والسعادة لديهم[68] ، مما يدلّ على الانسجام والتفاهم المشترك بين الطرفين والاحترام والتقدير.

تمتع التجّار العرب بمكانة عظيمة في قلوب سكان الساحل الشرقي، وسكان الداخل لما لسموه منهم من أخلاق رفيعة وصدق في المعاملة بفضل إسلامهم، فضلا عن حاجة السكان إليهم لأنهم كانوا يجلبون لهم مستلزمات حياتهم الضرورية. والحقيقة أن التجّار العرب المسلمين أينما رحلوا، كانوا محل ترحيب وتقدير من قبل سكان الساحل والمناطق الداخلية، فالسكان الوطنيون في سفالة كانوا يستقبلون التجّار العرب المسلمين القادمين إليهم مرحبين بهم قائلين "مرحبا بأبناء اليمن[69] ".

هذه العلاقات الوديّة سهّلت بدون شك عملية التأثير الحضاري والتي كانت اللغة العربية وسيلته الأساسية، حيث أصبحت لغة القرآن الكريم على ألسن القوم وتنساب في قلوبهم ثم أخذت تتغلب على لغاتهم المحلية أو تخالطها لتنشأ اللغة السواحليّة التي اعتمدت على عدة مصطلحات تجارية من أصل عربي من بينها مثلا التتابع العددي الذي استعارت السواحليّة جزءا كبيراً منه مثل كلمة : سيتا (ستة) وسابا (سبعة) وابدا اشر (إحدى عشر)[70] ، وكل العشريات من أصل عربي كاشريني (عشرون) وثلاثين (ثلاثون) وأروبايين (أربعون) .... وألفو (ألف)[71] . وفيما يتعلق بمفاهيم البيع والشراء نجد العديد من الكلمات مثل بيع (ثمن) وفايدا (فائدة) وغالي (غالي مرتفع السعر) وخسارا (خسارة) وريهاني (رهن) ورخيصي (رخيص)[72].

أثر الإسلام في انتشار اللغة العربية :

إذا كان للتعامل التجاري تأثيره في "تعريب" سكان بلدان الساحل الإفريقي، فإنّ اعتناق هؤلاء السكان للدين الإسلامي كان له الأثر البالغ في نشر اللغة العربية في الساحل ذاته وفي المناطق الداخلية أيضا، نظرا لارتباط طقوس هذا الدين بالعربيّة، فالصلاة وقراءة القرآن الكريم والحج ، وحضور دروس الفقه والعقيدة في المساجد كانت كلّها أمور تتطلّب معرفة هذه اللغة[73] . لقد "أصبح المسجد الجيد البناء، والتطبيق بما فيه من آذان للصلاة خمس مرات في اليوم، وإمام وصلاة جمعة مركزا للقرية بدلا من دار عبادة الأوثان ... وبلغت اللغة العربية التي تكتب بها الكتب الدينية الإسلاميّة حداً يفوق كل وصف.[74] "

كان قبول الإسلام واعتناقه من قبل سكان الساحل الشرقي الإفريقي يعني ضرورة الاعتراف باللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، ومحاولة تعلمها والنطق بها لأنّ الإسلام لا يتمّ إلا بها، وكان المسجد مركز الإشعاع لتعليم اللغة العربية فضلا عن تعلم الإسلام ومعرفة تعاليمه، فصلاة الجمعة وهي ركن مهم في الإسلام يتم خلالها إلقاء الخطبة باللغة العربية، ثم تترجم من قبل الخطيب إلى اللغة المحلية بشكل ملخص، خاصة إذا كان الخطيب من علماء الساحل،

وبذلك تكون الخطبة، وإقامة صلاة الجمعة باباً مهماً لنشر اللغة العربية. وقد أشارت المصادر التاريخية إلى كثرة المساجد وجمالها وانتشارها في كل مناطق الساحل.

لقد تميز المجتمع في شرق إفريقيا بالطابع الديني وبغلبة المذهب الشافعي، وما أن حلّ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حتى كان الساحل أجمعه مسلماً[75] ، ففي مدينة كزمازي (Kizimakazi) عثر في أحد جدران الجامع على نقش يذكر فيه قيام الشيخ أبي عمران بإصدار أمر ببنائه في اليوم الأول من شهر ذي القعدة من عام 500 هـ / 27 تموز 1107م.

وفي مدينة مقديشو يوجد الجامع الكبير القديم في حمروين، وتاريخ تأسيسه يعود إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وعمارة منارته إلى سنة 636هـ [76] . وفي مدينة مقديشو أيضاً عثر على نقش يعود إلى سنة 667هـ/ 1268–1269م يشير إلى أن بناء الأركان الأربعة تمّ من قبل شخص يدعى (كبعرو بن محمد الشيرازي[77]) وكتب على حجر من المرمر نقش بخط جميل " بسم الله الرحمن الرحيم أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذكرى للذاكرين[78]." وفي مدينة غيدي اكتشفت أطلال مساجد كثيرة صغيرة متناثرة وكذلك العديد من البيوت ممّا يؤكد سعة الاستقرار العربي في هذه المدينة[79].

وأما جزيرة زنجبار فيقول ابن ماجد عنها: " .... وفيها أربعون خطبة، يحكم عليها سلاطين الإسلام[80]." والمقصود بأربعين خطبة كثرة المساجد التي تقام فيها صلاة الجمعة والجماعة، مما يعني مدى انتشار اللغة العربية.

كان السلاطين والتجّار يتسابقون في بناء المساجد أو ترميمها، فسلاطين كُلْوا قاموا ببناء المساجد من الطين والأخشاب أو الحجارة، وقد تم توسيع الجامع الكبير الذي كان يضم مساحة مقدارها ثمانون مترا مربعاً ، وذلك بإضافة امتداد جنوبي له يشمل نحو ثلاثمائة متر مربع، فضلا عن بناء قبة عظيمة شكلت أكبر قبة على الساحل حتى أنّها دفعت زائرا أوروبيا مبكرا إلى المقارنة بين هذا الجامع الكبير وجامع قرطبة[81]. والغرض من بناء المساجد وتوسيعها كان لاستيعاب أعداد المسلمين، حيث يتم فيها تعليم الإسلام واللغة العربية، وتخرج طبقة من الطلبة ملمين بتعاليم الدين الإسلامي، فاللغة العربية هي لغة الثقافة والحضارة والدين آنذاك[82]. وهكذا استطاع المسلمون إقامة الجوامع والمساجد في كل قرية تقريبا أو منطقة أو مدينة واستقر فيها الأئمة والمؤذنون وحملة العلم، وهم جميعهم يتكلمون العربية ويدرسون بها[83].

اهتم سلاطين الساحل بتوطيد العلاقات الثقافية مع الحجاز وعدن ومصر وحضرموت "تريم" وغيرها من الأقطار العربية، فقد كان بعض طلاب الساحل الشرقي الإفريقي بعد إكمال دراستهم وأخذ العلم من الشيوخ الموجودين في مدنهم – في الجوامع – يشدون الرحال لأخذ العلم من أحد مراكز الاستقطاب العلمي السابق ذكرها[84].

لقد برز الكثير من العلماء والشعراء والأدباء باللسان العربي كالفقيه فخر الدين بن أبي عثمان بن علي الزيلعي الذي رحل إلى القاهرة من مقديشو في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ونشر الفقه فيها ومات بها، وله كتاب سماه " شرح كنز الحقائق ". ومن الأدباء البارعين أيضا عبد الله منير الزيلعي[85]. ومن المؤرخين المشهورين شهاب الدين الملقب بـ " بعرب فقيه " وله كتاب " فتوح الحبشة "[86].

دور الحج في انتشار اللغة العربية :

كان للحج تأثير كبير في نشر اللغة العربية لا يقل عن تأثير المساجد على أولئك الذين كانوا يقطعون آلاف الكيلومترات مارين ببعض البلاد الإسلاميّة، وفيها

كانوا يأخذون قسطا من الراحة بالمبيت في مساجدها والصلاة فيها وسماع خطبائها، وكان كلّ ذلك يكسبهم المزيد من المعرفة بأمور الدين واللغة العربية[87].

والملاحظ أن السلاطين والحكام عندما يذهبون لأداء فريضة الحج، كانوا عادة ما يصطحبون معهم أعداداً كبيرة من الجنود والخدم، وتتكرر هذه الظاهرة كل سنة مع الاختلاف في الأعداد، ولا شكّ في أنّ هؤلاء الحجيج كانوا يحتكون أو يكونون في تماس وتداخل مع العرب ولغتهم لأن مناسك الحج وأداء الشعائر الدينية كانت تتم باللغة العربية ، كما كانت ممارسة التجارة التي أباحها الإسلام مع الحج ليتمكن الحاج من سد نفقات الطريق وحصوله على الربح فرصة للتعامل مع اللغة العربية.

كانت رحلات الحج هذه تؤكد على ما تمتّع به سلاطين الساحل من قوّة الشعور الديني، وكانت هذه الرحلات تمثّل فرصة للمجاورة أو التفقه في الدين أيضا. فالسلطان سليمان بن الحسن بن طالون (676- 694هـ /1277- 1294م) الذي حكم كلوة خلال هذه الفترة، قرر ابنه (أبو المواهب الحسن بن سليمان) أن يتفقه في أمور الدين فسافر إلى عدن وبقي بها سنتين، ثم سافر بعدها إلى مكة وكان عالما فاضلاً[88]. وعندما تولى (طالون بن الحسن) الحكم (759- 694 هـ / 1277- 1294م) قرر بدوره الذهاب إلى مكة للحج إلا أنه توفى قبل وصوله، ولكن ابنه الذي تولى الحكم بعده (الحسن) قرر السفر إلى مكة فحج واعتمر وعاد سالماً[89].

كما ذكر الرامهرمزي أنّ أحد ملوك الزنج – لم يذكر اسمه – وصل إلى بغداد والبصرة ثم ذهب إلى مكة للحج ثم عاد إلى قومه يهديهم إلى الطريق السوي[90].

أمّا رحلة ابن بطوطة فتشهد على ما تمتّع به "الحجّاج" في المجتمع المقدشي، حيث كانوا يحظون بمكانة متميّزة تؤهلهم إلى الدخول على مجالس سلطان المدينة مع خاصة القوم. وفي هذا المجال يقول الرحالة المغربي: "... ويدخل القاضي والفقهاء والشرفاء والصالحون والمشايخ والحجاج...[91] " ولا شكّ في أنّ هذه المكانة كانت تشجّع بقيّة السكان على السفر للحجاز لأداء هذه فريضة الحج.

ولا شكّ أيضا في أن تلك الرحلات التي قام بها الأفارقة لأداء الفريضة أو المجاورة أو الرحلة العلمية إلى عدن أو بغداد وغيرها من مراكز الاستقطاب العلمي والعودة إلى الساحل قد ساهمت في نشر الفقه وغيره من علوم القرآن فضلا عن اللغة العربية. وفي المقابل كان للهجرات العربيّة إلى بلدان الساحل الشرقي لإفريقيا دور كبير في نشر اللغة العربيّة في هذه الأصقاع.

الهجرات العربية ودورها في انتشار اللغة العربية :

يمتدّ تاريخ الهجرات العربية نحو الساحل الإفريقي الشرقي إلى حقبة سبقت ظهور الإسلام[92]. إلاّ أنّ هذه الحركة اكتسبت مع بزوغ فجر هذا الدين خصائصا وأبعادا جديدة أحدثت تغيراً شاملا في حياة مجتمعات سكان الساحل الشرقي، فلم تعد تأثيرات العرب تقتصر على المجالات التجارية والاقتصادية، بل تعمّقت الصلات الدينية والثقافية بنشر الإسلام واللغة العربية لغة القرآن الكريم[93].

والحقيقة أن هناك عناصر جديدة دفعت بالهجرات العربية إلى الساحل الشرقي الإفريقي تحت ما يسمى بـ "ظاهرة الالتجاء السياسي والضغط العسكري" فضلا عن الأحداث السياسية منذ الفتنة الكبرى وما تلاها والتي دفعت بالقوى المغلوبة إلى الهجرة إلى مناطق عدة من ضمنها الساحل الشرقي الافريقي حيث طاب لها المقام والاستقرار. ولكن ليس صحيحاً ما قاله بعض المستشرقين من "أن المسلمين الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا كانوا إما من الطوائف المضطهدة التي وجدت في شرق إفريقيا الحرية الدينية المفقودة في بلادها، أو كانوا عصابات من الهاربين من العدالة [94]".

لقد أسهمت دول الخلافة – الأموية والعباسية – في

إرسال جماعات من أهل الشام إلى الساحل الشرقي الإفريقي لأغراض تجارية ، وقامت ببناء مدن مثل باتا ، ملندة ، زنجبار، ممبسنة، لامو، وكُلْوا وغيرها[95] ، وتذكر مخطوطة (خبر مولا) أنّ سكان لامو الأوائل كانوا من العرب الذين أرسلهم الخليفة عبد الملك بن مروان (ت 78هـ / 705م)، وعرفوا بـ " الواشامي " وهي كلمة سواحلية تعني أهل الشام[96].

كما أرسل الخليفة هارون الرشيد جماعة من المسلمين إلى الساحل الشرقي الافريقي وإلى نفس تلك المدن السابقة، وكان الهدف ممارسة النشاط التجاري فضلا عن تعزيز التواجد العربي الإسلامي[97].

توالت بعد ذلك الهجرات العربية إلى الساحل الشرقي الإفريقي، وكان من نتيجة تلك الهجرات التصاهر والامتزاج العربي بالزنوج والذي كان من نتائجه المهمة تعريب المنطقة، خاصة أن المهاجرين كانوا أكثر تطوراً و تفوقاً على المستوى السياسي والحضاري عامة من السكان المحليين، وهذا ما أهلهم للإندماج في البناء الاجتماعي دون أن يفقدوا هويتهم تاركين أثرهم في أي مجال يستطيعون ولوجه، متحاشين النزاع في المجالات التي يمكن أن يندلع فيها التنافس، وقد كان لهم الفضل في تعليم السكان المحليين مختلف الحرف والمهارات[98].

وقد استطاعت موجات المهاجرين العرب الوافدة على الساحل الشرقي الإفريقي أن تؤسس القرى التي تحولت إلى مدن ثم إلى دويلات ذات طابع عربي إسلامي امتدت من مقديشو شمالاً إلى موزنبيق جنوباً، وكذلك في الجزر المقابلة للساحل مثل جزيرة بمبا وزنجبار ومامبا وجزر القمر وكُلْوا وملقاسي " مدغسقر "[99]، ومن بين أبرز تلك الموجات الهجريّة، نذكر:

– هجرة سليمان وسعيد ابني الجلندى ما بين (75 – 95 هـ /694–704م) وقد حدثت في أيام حكم الخليفة عبد الملك بن مروان، فبعد هزيمة الجلنديين أمام قوات الحجاج بن يوسف اضطرا الأخوان للهروب مع أسرتهما ورجالهما إلى الساحل الشرقي الإفريقي، ولا يعلم أين نزلوا بالضبط، ومن المحتمل أنهم نزلوا في باتا في أرخبيل لامو[100]. وقد أسهم حضور هؤلاء المهاجرين إسهاماً إيجابياً في نقل اللغة العربية إلى تلك الجهة ونشر الإسلام بين القبائل الصومالية[101].

– هجرة الزيدية (122هـ /740م): بعد مقتل الإمام زيد بن علي وتفرق أتباعه، هاجرت مجموعة منهم إلى ساحل بنادر بالقرب من موقع مقديشو في (شنغوايا)، في موقع ميناء (Durnford)[102]. وبعد فترة من الزمن اختلطوا بقبائل البانتو، وتوجد اليوم قبيلة عربية في بنادر الصومال تفتخر بنسبها إلى الزيدية، وتدعي الانتماء والانتساب إلى المهاجرين الأوائل[103]. وتذكر بعض الكتب المحلية المكتوبة باللغة العربية التي وجدها البرتغاليون في أثناء غزوهم للساحل أن هناك هجرة عربية عرفت بهجرة " الابموزيدج "،(وهي تحريف سواحلي لكلمة الزيدية)[104]، وكانوا يسمون السكان بـ "الكفار" وعرف هؤلاء الزيدية الذين سكنوا الداخل باسم بدويز (Baduys)، وهي تحريف سواحلي لكلمة (بدوي) العربية[105].

– هجرة "الأخوة السبعة" من الإحساء في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وكان نزولهم عند شاطئ بنادر، وقاموا بتأسيس مدينتي مقديشو وبراوة، وكانت مقديشو عاصمة دولتهم التي توسعت حتى امتد نفوذها إلى جنوبي ممبسه[106].

– وفي عام 395هـ /975م ، وصلت هجرة جديدة إلى الساحل الشرقي الأفريقي بقيادة (علي بن الحسن الشيرازي) وتذكر الرواية أن علي بن الحسن جاء مع أولاده الستة على ظهر سبع سفن وتفرقوا على طوال الساحل، واستقر كل واحد منهم في منطقة فأحدهم في (بمبا) والآخر في (اكلوة كسواني) تنجانيقا اليوم، والثالث في (ممبسة) والرابع في (مندخة) والخامس في (شوع) والسادس في (هنزوان) واستقر الأب في (جزيرة هنزوان)[107]وهي إحدى جزر القمر.

يبدو أن علي بن الحسن وأبناؤه قد استقروا في الساحل الشرقي لإفريقيا في مجال يمتدّ من مقديشو شمالاً إلى سفلة جنوباً، وتمكنوا من تأسيس ما عرف بدولة أو إمبراطورية الزنج الإسلاميّة، أو سلطنة كُلْوا الإسلاميّة نسبة لعاصمتها كُلْوا (Kilwa)، واستمر حكم هذه الأسرة الشيرازية للساحل الشرقي الإفريقي من عام 395هـ /975 م حتى الغزو البرتغالي عام 930هـ /1497م بقيادة فاسكودجاما[108].

ـ هجرة بني مجيد من المنذرية: حصلت هذه الحركة الهجريّة عام 554هـ /1159م، زكا انطلاق بني مجيد من منطقة المنذرية في اليمن، واستقرّ بهم المقام في مقديشو.

من الواضح أنّ هذه الهجرات العربية الإسلاميّة إلى الساحل الشرقي الإفريقي قد توالت واستمرت منذ القرن الأول للهجرة /السابع الميلادي ابتداء بهجرة "الواشامي" وما تلاها من هجرات عربية أخرى حتى الغزو البرتغالي. ومن الأكيد أنّ هذه الهجرات قد حملت إلى سكان الساحل الشرقي الإفريقي موجات من العرب المسلمين الذين كانوا يختلطون بالسكان وينقلون إلى لغات هذه البلاد الكثير من مفرداتهم العربية، وخصوصا ما كان منها متعلقا بالأمور الدينية والاجتماعية والثقافيّة ومن ضمنها القلم العربي والدين الإسلامي الذي أصبح أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية في هذه البلدان.

والحقيقة البارزة أنّ تلك الهجرات وما صاحبها من مصاهرات بين المحليين والوافدين قد افضت إلى الامتزاج العربي بسكان الساحل الشرقي الإفريقي، وهذا سيؤدي إلى تعريب هذه المنطقة، فمثلا فعندما وصلت هجرة الأخوة السبعة من الإحساء انسحب الزيدية إلى الداخل واستقروا بين نهري جوبا ويبشيلي، ونشروا الإسلام واللغة العربية بين قبائل الجالا الوثنية فأصبح سكان صومال الداخل فقهاء ووعاظاً نتيجة لتلك المصاهرة مع الزيدية، وازدهرت اللغة العربية وعلومها على أيديهم[109].

وعندما وصل الحسين بن علي وأولاده الستة إلى الساحل وجدوا جماعة من المسلمين في كُلْوا وكان زعيمهم شخص يدعى (مروبر)، كما كانت بها مسجدا يدعى مسجد (كبل). وهذا يعني أن تلك الجماعة من المسلمين قد استوطنت في كُلْوا قبل مجئ الشيرازيين وهذا ما يؤيده أحد المؤرخين الذي أعاد تلك الهجرة أو ذاك التواجد الإسلامي إلى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، وكانوا في كُلْوا قبل الشيرازيين، الذين استقروا – أي الشيرازيين – في سونغومنارا (Songo Mnara)[110]. وقد أشار المؤرخ المسعودي أثناء زيارته للساحل الشرقي الإفريقي إلى شعب (بمبا) الذي يتكون من المسلمين والوثنيين، ويذكر أنّهم يتحدثون لغة الزنج[111].

أثر الدعاة والعلماء في نشر اللغة العربية :

كان هذا العامل من العوامل الهامّة التي أدّت إلى انتشار اللغة العربية بين سكان الساحل الشرقي الإفريقي، وقد أكد على ذلك توماس أرنولد بقوله : " هناك عامل من أقوى العوامل الفعّالة التي أدت إلى انتشار اللغة العربية بين السكان وتعلمها والنطق بها، وهي تلك الأعمال والجهود العظيمة التي قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام ونشر اللغة العربية بالطرق السلمية والهادئة مما مكنهم من حمل عقيدتهم ولغتهم إلى كل صقع من الأرض[112]".

يتسم الإسلام في الساحل الشرقي الإفريقي بسماته وأثره الحضرمي الواضح [113]، فمثلما دخل الإسلام إلى إفريقيا الغربية من المغرب، فإنّه دخل إلى إفريقيا الشرقية من حضرموت[114]. لقد سعى العلماء والدعاة الذين جاءوا إلى الساحل لنشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلاميّة التي شملت مختلف الفنون والعلوم وحرية العقيدة وحرية الفكر وعدم الجمود الذي يمثل طابع الحضارة العربية الإسلاميّة[115].

تشير مصادرنا إلى العديد من العلماء والدعاة العرب وخاصة الحضارمة الذين قاموا بنشر الدين الإسلامي واللغة العربية، فالشيخ أبادير وهو حسب ما أشارت

إليه حوليات مقديشو جاء من الجزيرة العربية خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، وجعل من هرر قاعدة لنشر الدعوة الإسلاميّة في الصومال[116].

ومن حضرموت جاء أربعة وأربعون شيخاً من دعاة الإسلام إلى الصومال، فاستقروا في مدينة بربرة على الساحل الصومالي الشمالي، وقام أحدهم وهو الشيخ إبراهيم أبو زرباي بنشر الإسلام وإنشاء المساجد[117].

ومن الآثار التي تؤكد على وجود العلماء والدعاة الحضارمة ومساهمتهم في نشر اللغة العربية في الساحل الشرقي الإفريقي قبر أبي بكر بن الحاج ياقوت الحضرمي في مقديشو والذي يعود تاريخه إلى شهر رمضان من سنة 759 هـ /آب 1358م[118].

ونشير إلى أنّ القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي شهد تعاظم نفوذ العلماء والدعاة الحضارمة، وفيه أخذت أصول المذهب الشافعي تتأصل في الساحل الشرقي الإفريقي والجزر التابعة له.[119]

ولكن النفوذ والتأثير المنظم على المستوى الفكري امتد من القرنين الثامن إلى التاسع الهجريين/ الخامس والسادس عشر الميلاديين، ويعود الفضل في ذلك للعلماء الأشراف والمشايخ الذين هاجروا من حضرموت إلى شرق إفريقيا وقاموا بنشر الدين الإسلامي واللغة العربية[120]. وقد أكد ابن بطوطة على شيوع المذهب الشافعي في منطقة الساحل الشرقي لإفريقيا بقوله : " .... إنّ غالبية طبقة العلماء في زنجبار شافعيون، والناس في كُلْوا وممباسا كانوا كذلك شافعيين[121]".

كانت اللغة العربية في ذلك الحين اللغة الأكثر انتشارا في الممارسة الدينيّة، وتمكن السواحليون وبقية السكان الذين استقروا في هذه المناطق مع أفارقة الداخل الذين استقروا في الساحل من إقامة إحدى أعظم الحضارات الإسلاميّة العربية التي شهدها العالم. وقد تم ذلك نتيجة لتحسين مستوى العلم والمعرفة وتبني الدين الإسلامي والتطبيق الواسع للشريعة الإسلاميّة ليصبح الإسلام ديناً واسع الانتشار متغلغلاً في جميع مجالات الحياة بفضل الدور الذي قام به هؤلاء العلماء والدعاة الذين نشروا الإسلام وكتبوا السواحليّة بالنص العربي وأشاعوا تقاليد دينية وفكرية وشعرية حضرمية متعددة[122].

ومع مرور الزمن بدأ سكان الساحل ينتجون أدباً إسلامياً محلياً مكتوباً وشفهياً باللغة السواحلية مستخدمين الحروف العربية فيتدوينه، مع أنّ اللغة العربية كانت في ذلك الحين اللغة الأكثر انتشاراً. وقد ظهر عدد من العلماء كرسوا معظم أوقاتهم للدراسات التخصصية وتفسير المعرفة الإسلامية، فاهتموا بدراسة اللغة العربية وعلومها من نحو وإعراب فضلا عن علوم القرآن الكريم والقراءات والتفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والفلسفة وغير ذلك، وخلفوا العديد من الكتب والمخطوطات في التاريخ مثل : مخطوطة باتا أو" تاريخ باتا "، وكتاب " تاريخ كُلْوا" أو "السلوى في أخبار كُلْوا" وهي مؤلفة باللغة العربية والبعض الآخر باللغات الإفريقية المكتوبة بالحرف العربي كالسواحيلية والملقاسية[123].

وخلاصة القول أنّ اللغة العربية كانت اللغة الرسمية للساحل الشرقي الإفريقي، وأنّ السكان عرفوها قبل ظهور الإسلام وأنّها ازدادت رسوخا وعمقاً بعد انتشار الحضارة الإسلاميّة لأنها لغة القرآن الكريم حتى أصبحت لغة الدواوين والمراسلات، وبفضل الإسلام قامت في الساحل الشرقي، حضارة إسلامية مزدهرة في كل مناحي الحياة لغتها العربية ومنهجها الإسلام.

وقد ساهمت عدّة عوامل مثلما ذكرنا في نشر الإسلام ولغته العربية بدءاً بالتجارة والتجار، والهجرات العربية وصولا إلى ما قام به الدعاة والعلماء، فضلا عن طبيعة الإسلام نفسه والذي هو دين فطرة يتميّز بالسهولة ولا تعقيد فيه. هذه الوسائل نقلت سكان الساحل اللإفريقي الشرقي من عبادة الأوثان وغيرها إلى ديانة التوحيد ليتمكنوا من بناء حضارة إسلامية اعترف بها الغزاة الذين حاولوا القضاء عليها وطمس اللغة العربية ولكنهم فشلوا ولم تكن اللغة السواحلية المتأثّرة باللغة العربية إلا مظهرا من مظاهر تلك الحضارة.

الهوامش:

(1) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة، 1958م، ج 1، ص 107. ابن تغر بردي، أبو المحاسن جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 1919م، ج 2، ص 296. والزنج : جبل السودان، ابن منظور، جمال الدين محمد، لسان العرب، بيروت، 1955م، ج 2، ص 290، " مادة الزنج ".

(2) ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر (د.ت) مج1، ص369–370. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، تحقيق رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، باريس 1840، ص 26.

(3) Trimingham , J. Spencer, The influence of Islam upon Africa, London, Longman, 1968, p. 30.

(4) دينز بولم، الحضارات الإفريقية، ترجمة نسيم نصر، بيروت، 1974م، ص 134– 135.

(5) Trimingham, op. cit., p. 30.

(6) المسعودي، مروج الذهب، ج 1، ص 107–108. أنظر أيضا: Stigand. The Land of Zinj, London, 1913 p17 . Reusch, R. History of East Africa. New York, 1961 p. 61.

(7) اليعقوبي، أحمد بن واضح، تاريخ اليعقوبي، بيروت، 1955م ،ج1، ص 58.

(8) عن تلك الهجرات وأسبابها يرجى مراجعة : المسيو جيان، وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية، نقله إلى العربية ملخصاً يونس كمال، ط1، القاهرة، ص 71 وما تلاها ؛ عبد الحكيم ، محمد رجب : العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،1999م ، ص 223ومابعدها .

(9) ياقوت : ج5/ 173.

(10) عبد الحليم ، محمد رجب : العروبة والإسلام ، مرجع سابق، ص 225.

(11) ابن بطوطة 154.

(12) محمد عبد الحميد سعيد : الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول (626 – 858هـ / 1229 – 1454م) رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف الأستاذة منيرة شابتو الرمادي، تونس 1998 .

(13) جيان : وثائق تاريخية وجغرافية ، ص 94.

(14) ينظر عبد الرحمن زكي ، الإسلام والمسلمون ، ص 77 .

(15) ينظر: نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان، القاهرة ،1931،ج1، ص 62. أحمد العبدلي، الدولة العمانية الأولى (132 – 280 هـ / 749 – 893 م)، دار جريدة عمان، 1966 ، ص 70.

(16) سالم حمدي السيد: الصومال قديما وحديثا ، وزارة الاستعلامات ، مقديشو ،1965م ، ج1/ص 350.

(17) عن المساجد يرجى مراجعة : أ.شريف، حضارة شرق إفريقيا ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1985م، ص 309 ؛ سالم حمدي السيد: المرجع السابق ، ج1/ص 309.

(18) 4ج/ص 474. وتعرف جزيرة كلوة باسم (كلسوة كسواني) وإلى الشمال منها توجد مدينة تسمى (كلوة كيفنجي) . ينظر المغيري، سعيد بن علي، جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، وبداخله السلوة في أخبار كلوة، تحقيق عبد المنعم عامر، مطبعة البابي الحلبي، 1979م ، ص70.

(19) المغيري : جهينة الأخبار ،ص 77 .

(20) محمد عبد الحميد سعيد : الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول ، ص

(21) الطنجي، محمد بن عبد الله اللواتي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، وادي النيل، القاهرة، 1870، ص 153 ومابعدها .

(22) نفسه ،ص 183 ؛ ويتظر جيان : وثائق تاريخية ،ص 191 ومابعدها .

(23) محمد عبد الحميد سعيد : الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد بني رسول ، ص

(24) الإدريسي ، أبو عبدالله محمد : نزهة المشتاق في أختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د. ت) ، ج1/ص 59 .

(25) جيان : وثائق ،ص 103.

(26) محمد محمود الحويري : ساحل شرق إفريقية ، ص107.

(27) ياقوت : معجم البلدان ، ج5/ص 207.

(28) اليوم يساوي ثمانية فراسخ ، أي أن اليوم يساوي (48كلم) . ينظر : أبو الفداء : تقويم البلدان ،ص 79. ؛ فالترهنتس : المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري ، عمان ، 1970، ص 94–95.

(29) نزهة المشتاق ، ج1/ص 59 .

(30) رجب : العروبة والإسلام ، ص 343.

(31) تحفة النظار : ص 155 حسن 273

(32) رجب : العروبة والإسلام ، 289 ومابعدها .

(33) محمود محمد الحويري : ساحل شرق إفريقية ، ص109 .

(34) السالمي : تحفة الأعيان ، ج1 /ص 62 ومابعدها .

(35) عبد الحكيم رجب : العروبة والإسلام ، ص 298 ، 299.

(36) الوزان، الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، الرياض، 1399هـ، ص 34. وليم باسكوم وملفيل سكوفتز، الثقافة الإفريقية، ترجمة عبد الملك الناشف، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك، المكتبة العصرية، بيروت، 1966م، ص 37.

(37) والأسر اللغوية هي: النيجر، كنغو الآفروآسيوية، الماركوسودانية،

الصحراوية الوسطى، واللكيك، فضلا عن سبع لغات فردية تشغل مناطق صغيرة نسبياً هي: السونجهاي، المايان، النور، الكومان، الكوردوفانيسان، التامينات والنيانجا، وعليه يصبح العدد اثنتي عشرة أسرة لغوية. ولذلك عمد الإفريقيون إلى الاتفاق على عدد من اللغات الأساسية بمثابة جسور ثقافية للتفاهم المشترك ومن أهم تلك اللغات: اللغة السودانية، ولغة البانتو واللغة السواحليّة، ولغة الهوسا. للمزيد ينظر: وليم باسكوم، المرجع السابق، ص 38 وما بعدها. مونتاي فنسان، الإسلام في إفريقيا السوداء، ترجمة إلياس حنا إلياس، ط1، دار بها، بيروت، 1983م، ص 245-246. محمد، إبراهيم عبد الفتاح، إفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1964م، ص 54. دونالد لورانس ويدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة علي أحمد فخري وشوقي عطا الله الجمل، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، (د.ت)، ص 40.

(38) محمد غنايم، "اللغة العربية وبناء المستقبل العربي"، مجلة المستقبل العربي، عدد 37، سنة 30، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008م، ص 50.

(39) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن والدكتور عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ط3، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م، ص 398.

(40) Blaydon, Edward W., Christianity, Islam and Negro Race. Edinburgh 1967, p. 12. Trimingham, op. cit., p.102 .

(41)Kingsnorth G.W. and Marsh Zoe, A History of East Africa. An Introductory Survey, Cambridge University Press, 1972. , p. 95.

(42) السيرافي، أبو زيد حسن، رحلة السيرافي إلى الهند وللصين، تحقيق علي البصري، بغداد ،1961م، ص 101.

(43) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة، (رسالة فخر السودان)، ج1، ص 195.

(44) ابن بطوطة : تحفة النظار ، ص 154. يظهر مستوى التعريب أيضا في استعمال الأسماء العربيّة وفي استعمال كلمة "الشيخ".

(45) المصدر نفسه والصفحة.

(46) Strandes, Justs, The Portugese period in East Africa. Kenya literature bureau Nairobi 1989, p.75 .

(47) Nichols, Christine, S., The Swahili Coast: Policies, Diplomacy and Trade on East African Littoral 1798-1856, Allen & Unwin; First edition, July 8, 1971, p. 19.

(48) جيمس دفي، الاستعمار البرتغالي في إفريقية، ترجمة الدسوقي حسين المراكبي، مراجعة وتقديم محمد صبحي عبد الحكيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م، ص 76.

(49) بازل دافدسن، إفريقيا القديمة تكشف من جديد، ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د. ت)، ص 18. جمال زكريا قاسم، "الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر"، منشور ضمن كتاب: العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار، معهدا لبحوث والدراسات العربية، القاهرة ، 1977م، ص 24.

(50) البانتو لفظة مكونة من (Ba) التي تدل على الجمع، و Ntu)) التي تعني الرجل أو الإنسان.

(51) سيد حامد حريز، "مساهمة علماء شرق إفريقيا في الحضارة العربية الإسلامية من خلال مخطوطاتهم"، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1985م، ص 138.

(52) محمد محمود الحويري، ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص 47.

(53) حسن يوسف فضل، "الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية"، منشور في كتاب: تاريخ السودان، الخرطوم، 1985، ج 2، ص 23.

(54) محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، عالم المعرفة، العدد (34)، الكويت، 1990م، ص 144.

(55) هـ .م . باتيبو، "إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطورها"، مجلة الإسلام اليوم، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، العدد (2) 1984م، ص 44. يونس أبو بكر خليفة، الحرف العربي واللغات الإفريقية، تونس، 1992م، ص 22.) للمزيد ينظر : هـ . م. باتيبو، المرجع المذكور، ص 43- 44. محمد عبد الغني سعودي، قضايا إفريقية، ص 144 وما بعدها .

(56) للمزيد ينظر: هـ . م. باتيبو، المرجع المذكور، ص 43- 44 . سعودي، قضايا إفريقية، ص 144 وما بعدها.

(57) تحفة النظار، ص 153.

(58) نفس المصدر، ص 168.

(59) المغيري : جهينة الأخبار ، ص 74.

(60) The Periplus of the Erythrean Sea, Translated from the Greek and annotated by Wilfred H. Schoff A.M., London 1912, p. 24 .

وللمزيد، ينظر جورج فضل حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، مراجعة د. يحيى الخشاب، مؤسسة الأ نجلو المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك (د. ت)، ص 30 وما بعدها. حمدي السيد سالم، الصومال قديماً وحديثاً، الدار القومية للطباعة والنشر، مقديشو، 1965، ج 1، ص 303.

(61) Stingand.op.cit.p.4.

(62) Stingand.op.cit.p.28.

(63) Kingsnorth and Marsh.op.cit.p18.

(64) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 152- 153.

(65) Poland Oliver and Gervse Mathew, History of East Africa, Oxford, 1962, p. 113 .

(66) Freeman. S. P. and Grenville. The East African Coast, Oxford,1962, p. 127 .

(67) المغيري، السلوة، ص 9.

(68) Ronald and Mathew ,Op,cit. p. 117 .

(69) الحميري، محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1975، ص 74.

(70) باتيبو، إسهام اللغة العربية، ص 44.

(71) عبد الغني، قضايا افريقية، ص 147.

(72) نفس المصدر والصفحة. باتيبو، المرجع المذكور، نفس الصفحة.

(73) Trimingham, The Influence, p. 50.

(74) توماس ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 398.

(75) Ronald and Mathew, Op cit. p.100.

(76) Dauidson , op. cit .p.101 .

(77) أ . شريف، "حضارة ساحل شرق إفريقيا السواحيلية في القرن 15م" (ندوة العلماء الأفارقة ..)، ص 309.

(78) عمر بن أحمد أبو بكر بن سميط، التحفة الشذية من الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت، دار الجنوب للطباعة والنشر، عدن، (د .ت)، ص 276.

(79) نفس المصدر والصفحة، وينظر: سالم حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً، ج 1، ص 309 . وتقع غيدي على بعد (53) ميل شمال ممباسا و(8) أميال جنوب غرب مالندى. ينظر: and Freeman Grenville, op.cit., p.132.

(80) شهاب الدين أحمد بن ماجد، ثلاث أزهار في معرفة البحار،تحقيق تيودور شوموفسكي، ترجمة محمد منير مرسي، القاهرة، 1969، ص 102.

(81) شريف، حضارة شرق افريقيا، ص 306.

(82) Trimingham ,op .cit ,p.59-60 .

(83(Davidson ,op. cit .p. 97. Abdulaziz , Mohammad H . "Impact of Islam on the Development of Swahili Culture", in Islam in Kenya: proceedings of the National Seminar on Contemporary Islam in Kenya. Ed. M. Bakari & S.S. Yahya, Mewa Publications, Nairobi, 1995, p.149 .

(84) بدرود كايتريغا، "علماء شرق إفريقيا وإسهاماتهم في الثقافة والحضارة العربية الإسلامية في القرنين التاسع عشر والعشرين"، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1985م، ص 264.

(85) سالم حمدي السيد، الصومال قديماً وحديثاً، ج 1، ص 326.

(86) نشره مع المقدمة بالفرنسية رينيه باسييه، وحققه فهيم محمد شلتوت، القاهرة، 1974م.

(87) السر سيد أحمد العراقي، "الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية في أثيوبيا والصومال"، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1985م، ص 169.

(88) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 156 وما بعدها .

(89) المغري، السلوة، ص 10.

(90) برزك بن شهر يار، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره، بريل 1883، ص 50 وما بعدها .

(91) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 156-157.

(92) عن تلك الهجرات يرجى مراجعة: عثمان محمد عثمان، "الجاليات العربية في افريقيا"، مجلة دراسات افريقية، عدد 8، سنة 1990، ص 102. Schoff , op cit., p.24. Strandes , op .cit., p.72.

(93) محمد المبروك بونس، تاريخ التطور السياسي، ص 23. Nichols .,op. cit. p. 20

(94) Copland , op . cit .p.24. Kingnoroth and Mathcw , op .cit . p 20 .

(95) المسيو جيان، وثائق تاريخية وجغرافية ، ص 49.

(96) شيبو فرج بن حميد الباقري اللاموي (مخطوطة خبر لامو) ترجمها Stigan في كتابه (The land of)، ص 290.

(97) Coupland , op. cit. p.24 .

(98) د. أ. ك. كاسوزي، "دور المعلمين العرب في العلاقات الإفريقية العربية والثقافة في بوغندا 1844- 1884م"، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1985م، ص 70. عبد الرحمن زكي، "الإسلام والحضارة العربية في شرق إفريقيا"، المجلة التاريخية المصرية، المجلد (12)، القاهرة ،1974م، ص 63.

(99) ينظر المرجع السابق، ص 44 وما بعدها . حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، ط3، مكتبة النهضة المصرية، 1984م، ص 29- 30.

(100) ينظر: السالمي، تحفة الأعيان ،1931،ج1، ص 62. أحمد العبدلي، الدولة العمانية ص 70.

(101) سالم حمدي السيد : الصومال قديماً وحديثاً، ج1، ص 350.

(102) المرجع نفسه والصفحة.

(103) سالم حمدي السيد : الصومال قديماً وحديثاً، ج1، ص 351.

(104) المرجع نفسه والصفحة.

(105) المغبري، جهينة الأخبار، ص 77.

(106) الملاحظ أن الباحثين لم يتفقوا على تحديد تاريخ الهجرة، فعبد الرحمن زكي يذكر أنها حدثت عام 290 – 291 هـ /903 – 904م، الإسلام والمسلمون، ص 77. أما المسيو جيان فقد حددها بالعام 295 /907م، وثائق تاريخية وجغرافية، ص 94. أما Coupland فقد جعلها

في العام 308هـ /920م ،East Africa .p 22.

(107) المغبري، السلوة، ص 39.

(108) ابن المجاور، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، تحقيق أوسكار لوفغرين، ط2، منشورات المدينة، بيروت، 1986م، ص 98-99.

(109) Trimingham, The Influence, p.4.

(110) المغيري، المصدر المذكور، ص 7-8.

(111) المسعودي، مروج الذهب، ج 1، ص 98.

(112) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص 27.

(113) Mohammed Bakari, "The New Ulma in Kenya", Islam in Kenya, op. cit., p.168 .

(114) Trimingham , The Influence, p.3 .

(115) السر سيد أحمد العراقي، "الإسلام ومراكز الثقافة"، ص 160.

(116) Ahmed, A. A., "The impact of Hadrami scholarship on Kenyan Islam", Islam in Kenya: op. cit., p. 162 .

(117) العراقي، المرجع المذكور، ص 170.

(118) Ahmed , op. cit. p.162 .

(119) بدرود كايتريغا، علماء شرق إفريقيا وإسهاماتهم في الثقافة، ص 263.

(120) Trimingham , The Influence, p.32 .

(121) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 155 وما بعدها.

(122) A .Ahmed , op. cit. p.160 .

(123) ينظر حريز، "مساهمة علماء شرق إفريقيا"، ص 139.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية :

1- بامخرمة ، أبو محمد عبد الله :

تاريخ ثغر عدن ، ليدن ، 1936م .

2- ابن بطوطة ، أبو عبد الله اللواتي الطنجي :

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأقطار، بيروت ،1964م.

3- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر :

الحيوان ،تحقيق ،عبد السلام محمد هارون ، ط1، القاهرة ،1938م ، ج3.

رسائل الجاحظ ،تحقيق ، عبد السلام هارون ،القاهرة ،1964م،رسالة فخرالسودان ،ج1.

4- الحميري ، محمد بن عبد المنعم :

الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق ، إحسان عباس ، بيروت ، 1975م .

5- الرامهرمزي ، برزكبن شهريار :

كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره ،بريل ،1883م.

6- الزهري ،أبو عبد الله محمد بن أبي بكر :

كتاب الجغرافيا ، عُنيّ بتصحيحه ،محمد حاج صادق ،دمشق ،1968م.

7- السيرافي ، أبو زيد الحسن :

رحلة السيرافي إلى الهند والصين ، تحقيق ،علي البصري ،بغداد 1961.

8- أبو الفداء ،عماد الدين إسماعيل :

تقويم البلدان ،تحقيق ، رينود والبارون ماك كوين ديسلان ،باريس ،1840م.

9- ابن ماجد ،شهاب الدين أحمد :

ثلاث أزهار في معرفة البحار ،تحقيق ،ثيودور شوموفسكي ،ترجمة محمد منذورمرسي ،القاهرة ،1969م .

10- ابن المجاور ،جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب :

صفة بلاد اليمن ،المسمى تاريخ المستبصر،،تصحيح ،اوسكار لوفغرين،ليدن ، 1951.

11- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين :

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ،

12- الوزان ، الحسن بن محمد :

وصف إفريقيا ، الرياض، 1399هـ .

ثانيا : المراجع العربية والمعربة :

1- إلياس ،يوسف :

- التمازج الثقافي العربي ا لإفريقي ،شؤون عربية ،1983م .

2- بازل دافداس :

- إفريقيا القديمة تكشف من جديد ، ترجمة ،نبيل بدر ،سعد زغلول ،مراجعة ،محمود شوقي الكيال ،الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ،(د.ت) .

3- توماس أرنولد :

- الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة ،د.حسن إبراهيم حسن وآخرون ، ط3،مطبعة النهضة المصرية ، القاهرة ،1970م .

4- جمال زكريا باقاسم :

- الروابط العربية الإفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ،1977م .

5- جورج فضل حوراني :

- العرب والملاحة في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى ، ترجمة ، د. السيد يعقوب بدر ، مراجعة ، د.يحيى الخشاب ، مكتبة الأنجلو مصرية بالأشتراك مع مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر ، القاهرة ، نيو يورك ، (د . ت) .

6- جيان مسيو :

- وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية من إفريقيا الشرقية ، نقله إلى العربية ملحصاً يونس كمال ، ط / القاهرة (د .ت) .

7- جيمس دفى :

- الاستعمار لبرتغالي في إفريقية ، ترجمة ،الدسوقي حسن المراكبي ،

مراجعة وتقديم ، د. محمد صبحي عبد الحكيم ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،1963م .
8- حسن إبراهيم حسن :
- انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ،ط3 ،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1984م .
9- حسن أحمد محمد :
- الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ،1063م .
10- دونالد لورانس ويدنر :
- تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، ترجمة علي أحمد فخري ،د. شوقي عطا الله الجمل ،مؤسسة سجل العرب ،القاهرة ،نيويورك ،1976م .
11- ديزبوه :
- الحضارات الإفريقية ، ترجمة ، نسيم نصر ،بيروت ، 1974م .
12- سالم حمدي السيد :
- الصومال قديماً وحديثاً ،وزارة الاستعلامات ، مقديشو، 1965م.
13- عبد الرحمن زكي :
- الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ،1965م .
- الإسلام والحضارة العربية .
14- عمر بن أحمد أبي بكر بن سميط :
- النفحة الشذية من الديار الحضرمية وتلبية الصوت من الحجاز وحضرموت ، دار الجنوب للطباعة والنشر، عدن ،(د.ت).
16- محمد محمود الحويري :
- ساحل شرق إفريقية من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي ، ط1 ، دار المعارف ،القاهرة ،1986م .
17- محمد عبد الفتاح إبراهيم :
- إفريقيا من نهر السنغال إلى نهر جوبا ،مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،1964م .
18- محمد عبد الغني سعودي :
- قضايا إفريقيا ، عالم المعرفة ،العدد (34) ، الكويت ،1991م .
19- محمد المبروك يونس :
- تاريخ التطور السياسي للعلاقات العربية الإفريقية 1952- 1977م ، ط3، طرابلس ، 1991م.
20- مونتاي فسان :
- الإسلام في إفريقيا السوداء ،ترجمة إلياس حنا ، ط1،دار بها ،بيروت ، 1983م .
21- وليم باسكوم ، وملفيل سكوفتز :
- الثقافة الإفريقية ،ترجمة ، عبد الملك الناشف ،مؤسسة فرانلكين للطباعة والنشر،نيو يورك، المكتبة العصرية ،بيروت ،1966م.
22- يوسف البكر خليفة :
الحرف العربي واللغات الإفريقية ، تونس ،1992م .

ثالثا :الندوات والدوريات العلمية :

1- أ . شريف :
- حضارة ساحل شرق إفريقيا السواحلية حتى القرن الخامس عشر ، " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلاميّة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " ، بغداد ، 1985م .
2- بدرود . كاتيريغا :
- علماء شرق إفريقيا وإسهاماتهم في الثقافة والحضارة الإسلامية العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلاميّة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "، بغداد ، 1985م .
3- السرسيد ، الدكتور أحمد العراقي :
- الإسلام ومراكز الثقافة الإسلاميّة في أثيوبيا والصومال ،" ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلاميّة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم " ، بغداد ، 1985م
4- د. أ.ك. كاسوزي:
- دور المعلمين العرب في العلاقات الإفريقية العربية والثقافة في بوغندا ، " ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلاميّة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، 1985م.

المجلات :

1-عبد الرحمن أحمد عثمان :
-الجاليات العربية في إفريقيا ،مجلة دراسات إفريقية ، العدد (8) ،1990م.
2- هـ . م. باتيبو :
- إسهام اللغة العربية في إنماء اللغة السواحلية وتطويرها ، مجلة الإسلام اليوم ،المنظمة الإسلاميّة للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) ، العدد (12) ،1984م .
3-عبد الرحمن زكي :
-الإسلام والحضارة العربية في شرق إفريقيا ،المجلة التاريخية المصرية ، مج2، القاهرة ،1964م.

رابعاً : الدراسات الأجنبية :

1 - Blaydon, Edward W. Christianity, Islam and Negro Race. Edinburgh 1967.

2 - Davidson ,op . cit .p.97.Abdulaziz , Mohammad H . Impact of Islam on the Development of Swahili Culture Confronce of Islam In Kenya. (Kenya. 1995)

3- Freeman. S. P. and Grenville. The East African Coast. Oxford.1962.

4 - Freeman. S. P. and Grenville. The East African Coast. Oxford.1962.

5- Kingsnorth, G.W. and Marsh Zoe. A History of East Africa. An Introductory Survey. Cambridge University Press. 1972.

6- Nicolis,C.S. The Swahili Coast: Policies. Diplomacy and Trade on East African Littoral 1798-

1856. Allen & Unwin; First edition (July 8, 1971 .

7- Reusch, R. History of East Africa. New York. 1961.

8- Ronald Oliver and Gervese Mathew, History Of East Africa .

(Oxford) .1962.

9- Poland Oliver and Gervse Mathew, History Of East Africa . Oxford .1962.

- Stigand. The of Zinj . London. 1913.10

11- Strandes, Justs. The Portugese period in East Africa. Kenya literature bureau Nairobi 1989.

12- Trimingham , J.Spenr: The influence of Islam upon Africa. Grcat Britain: London: Longman. 1968.

13- The Periplus of the Erythrean Sea. Translated from Greek by: Schoff, William H. London 1912.

Conferences :

- Abdulaziz , Mohammad H . Impact of Islam on the Development of Swahili Culture Confronce of Islam In Kenya . (Kenya. 1995).

The Spread of Arabic in the Eastern African Coast (from the Second to the Ninth Hegira century / 8-16 century)

Hassan Saleh Al-Gulaam

Abstract

Our Arabic sources paid much intention to the spread of Islam in Sudan in general and the eastern African coast in particular and to embracing Islam by kings of these countries. However, these sources gave only little information about the spread of Arabic in these countries. They gave only brief hints about the Arabization process there. This study exploited these hints to investigate the ways how Arabic spread there and the extent of this.

The study tackled many issues related to the spread of Arabic such as its importance, its superiority over the local languages and the means that contributed to its spread until it became the official language in the Islamic kingdoms there after the conversion of local citizen to Islam. This process was preceded by the existence of metropolitan centers that contributed to the Arabization and Islamization processes. These centers, established by individual efforts existed along the eastern African coast and firstly practiced commercial activities and later they were supported by Muslims coming from Arabia and the Arabian Gulf.